الشعور بالمسؤولية

كتبه

فهد بن يحيى العماري

القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

أيها المسلمون: نحن أمة ذات مجد وتاريخ ونهضة وسؤدد وشرف وفخامة، أمة ولّادة نجّابة .

كم خلّد المسلمون بإسلامهم في تاريخ الأمم من العلوم والمعارف والحضارات والصناعات والانتصارات!

كم خلّد المسلمون من قوة اليقين بدينهم والإيمان بربهم ورسولهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الثبات والعزة والفلاح والنجاح وسلامة المعتقد والعمل والمنهج والفكر!

نحن أمة إمامنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلفنا الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام.

إمامنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب أروع الأمثلة في الشعور بالمسؤولية في جميع حياته، في علاقته بربه، وعلاقته بأسرته ومجتمعه ، وعلاقته بشؤون دولته، وعلاقته بالبلاغ للرسالة، وهى المسؤولية العظمى والكبرى في حياته، فهو الهدف الأسمى والغاية العظمى .

الشعور بالمسوؤلية في كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين؛ المسؤول، والموظف، والمعلم، والداعية وناشر العلم وناسخه وطابعه، وإمام

المسجد، والقاضي، والمحقق، والطبيب، ورجل الأمن، والمهندس، والعامل، والموظف، وأصحاب المهن والصناعات، والتجار وأصحاب المال والثراء، والأوصياء والنظار ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

الشعور بالمسؤلية من قِبَل الأبوين تجاه أسرتهم وتربيتهم، وإعدادهم لأمتهم ووطنهم، والحفاظ عليهم وتحصينهم من الشبهات والشهوات والانحرافات، لا سيما في زمن العولمة.

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه»[(١)].

الشعور بالمسؤلية: كل من حصّل علمًا في تبليغ هذا الدين بالهدى والحكمة والعقل، دون إحداث مفاسد وتشويش، وفتاوى شاذة ومنحرفة تسعى لتحريف الدين وتبديله وتفريق المسلمين، وتستبيح الدماء، وتحدث الفتن والقلاقل والتطاول على العلماء.

الشعور بالمسؤلية ينطلق من وضوح الهدف، والخوف من الله، ومراقبة الله، وأمانة المسؤولية، وصدق الكلمة، ونصرة المظلوم وردع

(١) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

الظالم، وقضاء حاجات الناس، والرحمة التي أودعها الله في قلوب الخلق يتراحم بها الناس، والأخوة الإيمانية والأخلاق الإسلامية، والحفاظ على ثروات المسلمين وأوطانهم وأمنهم.

صاحب **الشعور بالمسؤولية** يتقلب في جاري الحسنات والصدقات والعبادات والدعوات والرحمات والعون والسداد من الله.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(١) وقال: «**وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»(٢) وقال: «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(٣).

إنهم السعداء حقًّا والمفلحون حقًّا مهما تعبوا، فإن تعب السعادة لذة وليس شقاء ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

صاحب **الشعور بالمسؤولية** يؤجر على هَمّ المسؤولية والأمانة والتفكير والتعب.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٤).

وقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا تُكَفِّرُهَا**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠١٤) وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد ٤٦٣٧).

(٣) رواه البخاري (١٢٨٤) مسلم (٩٢٣).

(٤) رواه البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).

الصَّلَاةُ وَلَا الصِّيَامُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا الْعُمْرَةُ» قَالُوا: فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ**»(١).

صاحب **الشعور بالمسؤولية** يؤجر متى صدق مع الله وصدق لله وعمل لله، بصره وقلبه إلى براءة ذمته والدار الآخرة، ولا شيء أعظم عنده من دينه ولقاء الله ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣].

والحذر كل الحذر من إضاعة الأمانة والتهاون والتكاسل، والظلم ظلمات يوم القيامة.

واسمع إلى هذا الشعور بالمسؤولية في تبليغ هذا الدين:

قال عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَسْجِدِنَا فَانْهَهُ عَنْ أَذَانَا. فَقَالَ: يَا عَقِيلُ، ائْتِنِي بِمُحَمَّدٍ. فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: يَابْنَ أَخِي، إِنَّ بَنِي عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ**»؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ إِلا أَنْ تُشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً**» قَالَ: فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي، فَارْجِعُوا(٢).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١٠٢) قال الحافظ: إسناده واهٍ (التلخيص الحبير ٢٤٦٧).

(٢) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي (١٢٤٨) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢).

من رحم **الشعور بالمسؤولية** تكون النجاحات والإنجازات، وإقامة العدل والإنصاف، وتخطي التحديات والعقبات والراحة والطمأنينة، فسارعوا وسابقوا واستبقوا ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].

من رحم **الشعور بالمسؤولية** ينتشر العلم ويقل الجهل، وترتفع الشهوات عن الجوارح والشبهات عن القلوب والعقول، وتقل الأخطاء والأهواء ويستجاب للنصح والناصح «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١) فلا تيأسوا، ولا تجزعوا ولا تكاسلوا، ولا تحزنوا.

من رحم **الشعور بالمسؤولية** يبقى ثابتًا كل صاحب مشروع على مشروعه، وكل مرابط مرابطًا على ثغره في كل الميادين، يتعزى بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ**»(٢).

يضرب هذا النداء والصوت في أذنه وقلبه ووجدانه ليكون ممن اصطفاهم لحمل رسالة البلاغ المبين، وهدى سيد المرسلين، وتوطين هذا الدين في قلوب المسلمين .

فاضرب بسهم في سهام أئمة ... سبقوك في هذا السبيل القيم
وافتح مغاليق القلوب لتهتدي ... وعلى إلهك فاعتمد واستعصم

من رحم **الشعور بالمسؤولية** يكون ضبط الكلمة وزمّها ووزنها، فكل كبير يحمل في داخله إحساس المسؤولية تجدُه مسؤولًا عن كل

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).
(٢) رواه البخاري (٣٠٣٩).

ما يصدر منه، وأوّلها الكلمة التي يتفوّه بها، فلا يُطلِق كلمةً جزافًا بلا معنى، ولا كلمة تفسد ولا تصلح، ولا كلمة تفرق ولا تجمع، ولا كلمة تكسر ولا تجبر، ولا كلمة تضل ولا تهدي، ولا تُخالِف أفعاله أقواله لأن الكلمة دَيْنٌ في رقبة صاحِبها؛ فهو يمنحها حقّها وقيمتها ولا يستهين بها.

أيها الآباء والأمهات: إن من أسباب القضاء على كثير من المشكلات داخل الأسرة تربيتَهم على تحمّل المسؤولية، ومن رحم الشعور بالمسؤولية يخرج الرجال والأبطال والعقلاء والنبلاء والقادة والفاعلون في مجتمعاتهم لدينهم وأمتهم وأوطانهم.

أيها الجيل والشباب: قامت الأمم والأوطان على كواهل وطموحات الشباب، وقام الدين وانتشر على همم وعزائم وتضحيات الشباب، كمصعب وعلي وزيد وابن عباس وابن عمر وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩].

أيها القادة والمربون: إن من أسباب ارتقاء الأمم والأوطان الشعور بالمسؤولية، رفعها شعارًا وواقعًا عمليًّا في كل مناحي الحياة ، بثها دينًا وأخلاقًا وإدارة وإنسانية، تُربّى عليها الأجيال وتغرس في قلوب الناشئة ويؤمنون بها ويحفّزون عليها.

ما كان أصحاب النبي محمدٍ إلا شبابًا شامخ الأفكار

وحينما يموت الإحساس بالمسؤولية تموت البشرية في كل مجالات حياتها، يموت القلب قبل البدن، ويضعف الصدق والأمانة، وينتشر

الجهل والأمية، ويتفشى الكسل والضعف والذل والهوان، والله المستعان، حفظ الله الإيمان والأوطان والأبدان، وعليه التكلان.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1].

وإلى لقاء آخر على طريق العلم والهدى، يسره الله بمنِّه وكرمه.

كتبه: فهد بن يحيى العماري

مكة، حرسها الإله

Famary1@gmail.com

(١) رواه مسلم (١٠١٧).